دفاتر المجلس
43
سلسلة منشورات الجيب

- منبر حوار الأفكار -

الأمن اللغوي والاستقرار الاجتماعي

محاضرة
أ.د. بومدين بوزيد

إحياء لليوم العربي للغة الضاد

1 مارس 2013

منبر حوار الأفكار

منبر مفتوح:

– التفكير الحر الهادف وتبادل الرأي حول قضايا: اللسان والثقافة والمجتمع، المعاصرة والتاريخية.

موائده:

- ❖ أطروحات للمناقشة مع جمهور المثقفين.
- ❖ موائد مستديرة لتبادل الرأي: اتفاق واختلاف.
- ❖ أيام دراسية حول مسائل تشغل الرأي العام.

هدفه:

تحديث الأصالة وأصالة التحديث وتجديد الخطاب حول الواقع والمأمول.

سلسلة منشورات الجيب
من إصدار المجلس الأعلى للغة العربية
الجزائر

جميع الحقوق محفوظة

تصميم وتنفيذ وإخراج: دار راجعي للنشر

الهاتف والفاكس: 021273696

Nradjai@yahoo.fr

جميع الحقوق محفوظة

الأمن اللغوي والاستقرار الاجتماعي

الدكتور بومدين بوزيد

المجلس الأعلى للغة العربية

۞أول مارس 2013 ۞

كلمة منشط اللقاء الدكتور عثمان بدري

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،

السادة أصحاب المعالي والوزراء، السادة السفراء، السادة العلماء والأساتذة، السادة ضباط الأمن الوطني وطلاب مدرسة الأمن الوطني وطلابنا وطالباتنا في الجامعة وفي المؤسسات التربوية، أرحب بكم في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية، هذا المجلس الذي ما فتئ يطوف بنا في رحاب وطننا الواسع، الكبير بما يزخر به من تراث وتاريخ ولغة ونضال واستقامة لسان، فنقول للقائمين عليه رئيسا وإدارة وأعوانا جازاكم الله خيرا.

أيها الحضور الكرام

يستضيف المجلس في هذه الأمسية الأستاذ الدكتور بوزيد بومدين ليتحفنا بمداخلة في غاية الأهمية لما لها من انعكاس

إيجابي على أمن وطننا، فإذا كان الأمن التقليدي هو أمن الحدود البرية والبحرية والجوية، فإن العالم اليوم أصبح يهتم أكثر بالأمن الثقافي والفكري واللغوي لما تمثله هذه الأبعاد من تحصين للشخصية الوطنية في ظل العولمة الجارفة والمهيمنة التي لا تعترف بالحدود التقليدية ولا بالخصوصيات الثقافية، وفي هذا الإطار واحتفاء باليوم العربي للغة الضاد الذي أقرته الألسكو .

إذا سيقدم الأستاذ بومدين بوزيد مقاربة في كيفية تحصين حدود بلادنا بالأمن اللغوي، ولذلك جاءت مداخلته تحت عنوان: **الأمن اللغوي والاستقرار الاجتماعي،** وقبل هذا أعطي الكلمة للسيد جيلالي علي طالب الأمين العام للمجلس ليعطي إشارة افتتاح هذا النشاط وشكرا

كلمة الأمين العام للمجلس

في افتتاح فعاليات النشاط الثقافي احتفاء بلغة الضاد

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

السيد رئيس الجلسة

معالي السيد وزير الاتصال

السيدات والسادة أصحاب المعالي والسعادة

السيدات الفضليات والسادة الأفاضل من باحثين، وممثلي وسائل الإعلام

السيدات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

فأصالة عن نفسي ونيابة عن القائمين عل شؤون المجلس، يطيب لي في مستهل هذه الأمسية المباركة أن أتناول الكلمة لأرحب بكم أجمل ترحيب وأشكركم على تلبية دعوة المجلس للإسهام في منبر حوار الأفكار ، وهو فضاء

علمي – ثقافي من فضاءات المجلس الأعلى للغة العربية التي ظل يخصصها للنقاش حول الموضوعات المتعلقة بترقية استعمال اللغة العربية وتحديث مضامينها، لكي تواكب حركية التطور التي تعرفها البشرية، في ظل عولمة جارفة لا تعترف بالحدود الجغرافية، ولا بالنطاق السياسي، ولا تحترم خصوصيات الدول والمجتمعات في توجهاتها ومعتقداتها وثقافاتها، يسوق ذلك تارة باسم العصرنة والتحديث، وتارة أخرى باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وهم أول من ينتهك هذه الحقوق من حيث التمايز والانتقاء، والتمييز بمختلف أشكاله .

السيدات الفضليات السادة الأفاضل

ينظم المجلس في هذه الأمسية نشاطا ثقافيا احتفاء باليوم العربي للغة الضاد، الذي أقرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المصادف لأول مارس من كل سنة، وإن

كان المجلس يتمنى أن نحتفي باللغة العربية يوميا وفي كل مكان وعلى مدار السنة، وأن أحسن احتفاء بها هو استعمالها في مختلف تعاملاتنا اليومية، ونشرها بالأساليب الصحيحة، دون تشوه ولا تهجين، والعمل على تحديث مضامينها بالكيفية التي تسمح لها بالمحافظة على مكانتها بين اللغات الرسمية المستعملة في هيئات الأمم المتحدة وهن: العربية والإنجليزية، والصينية، والإسبانية والروسية والفرنسية، وهي اللغات التي خصصت المنظمة الأممية لكل منها يوما عالميا في كل سنة.

فقد احتفينا باليوم العالمي للغة العربية المصادف لـ:18 ديسمبر، واحتفينا بالعربية في 21 فبراير 2013 باعتبارها لغة أم، وها نحن نحتفي باليوم العربي للغة الضاد، المصادف لأول مارس من كل سنة بوصفها اللغة الأم، اللغة الجامعة للجزائريين في مستويات التعامل والتواصل والاتصال

والتعليم، وفي استصدار الوثائق الرسمية ذات الأبعاد السيادية للدولة الجزائرية.

السيدات الفضليات السادة الأفاضل

نستسمح حضرتكم لنطرح عليكم وعلى كل من يهمه الأمر موضوعا أصبح حديث الساعة لدى الكثير من المجتمعات، المتمثل في اعتبار الأمن اللغوي من الأمن القومي، لما له من أهمية في تحصين الشخصية الوطنية وحمايتها من كل أنواع الاستدراج، والاختراق والغزو بمختلف أشكاله، بهدف الحفاظ على الوحدة الوطنية واستقرار البلاد،

فإذا كان من المسلم به بأن اللغة هي الوعاء الذي يحفظ تاريخ الأمة ومنجزاتها العلمية والأدبية والفنية، ويعكس قيمتها على سلم الحضارة الإنسانية ، لأن:" غلبة اللغة بغلبة أهلها، وأن منزلتها بين اللغات صورة لأمتها بين الأمم " كما يقول ابن خلدون ، فأين نحن والعربية من هذا الطرح

الخلدوني؟ وما السبل الكفيلة للنهوض بلغتنا العربية كما دعت إلى ذلك مؤسسة الفكر العربي مؤخرا؟

إن اللغة العربية في أمس الحاجة إلى من يستعملها ويتعامل بها، بل إنها في أشد الحاجة إلى إنتاج فكري، وإبداع فني، وإلى من يعزز مكانتها في وسائط التكنولوجيات الحديثة والمتطورة وبخاصة على الشابكة، بعيدا عن كل المزايدات اللغوية التي طبعت حلقاتنا العلمية على مدار نصف قرن دون أن نتمكن من وضعها في المسار الصحيح لكي تتبوأ مكانتها اللائقة بها في سوق اللغات، لأن اللغة أصبحت مرادفة للعملة، فإذا كانت العملة مطلوبة في كل الأسواق العالمية لما توفره من تلبية لحاجات الدول والمجتمعات، فكذلك بالنسبة للغة لما تقدمه من خدمات وما توفره من جهد في فهم الآخر وإفهامه.

السيدات والسادة الحضور

إن الكثير من الدول أصبحت تهتم بالأمن اللغوي وتضعه ضمن الأولويات، بل إنه مقدم على باقي مجالات الأمن عندها، ولذلك راحت تولي أهمية خاصة للأمن اللغوي، لحماية لغاتها من الاختراق والتهجين في المقام الأول، إيلاء أهمية للعربية لما توفره لها من امتيازات في فهم المجتمعات العربية والإسلامية بهدف الاستفادة من خيرتها وتسخير مواردها لصالح تنمية استراتيجياتها السياسية والاقتصادية في المقام الثاني، فبحسب مقال للأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري المنشور بجريدة "العلم المغربية": " لقد صنفت السلطات الأمريكية مؤخرا اللغة العربية لغة إستراتيجية في التعليم، ويتسارع عدد كبير من الأمريكيين إلى تعلم العربية باعتبارها مكونا لغويا وثقافيا ناجعا في التكوين ، وقد حسمت السلطات التربوية الفرنسية لصالح اختيار تبني تعليم عربي ازدواجي (يراعي الأبعاد الكتابية والشفهية للمتصل اللغوي

العربي بين فصيحه وعامه). وهناك الكثير من الدول التي أصبحت تهتم بإدراج العربية إلى جانب لغاتها ، وتشجع إنشاء وسائط للإعلام والاتصال بالعربية"، ويضيف " ولكن وبموازاة مع هذا الطرح ، وضد التيار ، تتحرك أقلية من الجامعيين الفرنسيين، الحاملة لتصور اختزالي للغة العربية، بهدف فرض بديل لهجي يبدو أن أوروبا تتفرد به! وهي بذلك تتبنى أطروحات متجاوزة، متولد ة عن " الأفكار الثابتة والمتخلفة"، وعن "لأصوليات والتعصبات" التي تحملها أدبيات اللغة العربية. وهكذا يوظف الخلط و"ال تلغيم"، باسم الدفاع عن التواصل والحوار ، والحق في "اللغة الأم" ووظائفها (المغلوطة) في التعليم، ومعالجة إشكال الازدواجية، والتعدد اللغوي".

السيدات الفضليات السادة الأفاضل

لقد سقت هذين المثالين للتدليل على الآخر بالعربية عندما تكون في خدمة مصالحه، وعلى ما يحاك ضدها، من معارك هامشية مصطنعة مع اللغات المحلية، والمازيغية على وجه الخصوص، وهي معارك وهمية الهدف منها تهميش اللغتين وفتح المجال للغة ثالثة لن تكون إلا لغة الكولونيالية كما يروج لها أصحاب" الحق المكتسب، أو أصحاب"غنيمة حرب"، وعلى هذا الأساس فإن المجلس يغتنم هذه المناسبة لدعوة الوطنيين والمهتمين بشؤون العربية والغيورين على هذا البلد لتبني مقاربة أمنية في المجال اللغوي بما يضمن الاتصال والتواصل من جهة ويحافظ على وحدة الأمة في أبعادها الثلاثة من جهة أخرى للحفاظ على انسجام المجتمع وتجانسه وتماسكه اتصالا وتواصلا.

أصحاب السعادة والفضيلة

سيلقي علينا الأستاذ الدكتور بوزيد بومدين محاضرة موضوعها: الأمن اللغوي والاستقرار الاجتماعي، وهو موضوع بات محل نقاش في الأوساط الثقافية عند الآخر، وبخاصة في البلدان الأوروبية بعد أن انضمت إلى اتحاد الأوروبي واحد، حتى إن فرنسا نفسها أصبحت تفضل " الحق في الاختلاف" للحافظ على خصوصياتها اللغوية والثقافية، ثم نستمع إلى كلمة للأستاذ الدكتور صالح بلعيد، ثم يفتح نقاش لإثراء ذلك.

أهنيء الجميع بعيد اللغة العربية المصادف لأول مارس من كل سنة، وأرحّب بكم مرة أخرى، وأشكركم على كرم الإصغاء والسلام عليكم ورحمة الله.

"الأمن اللغوي" والاستقرار الاجتماعي

د. بومدين بوزيد باحث جامعي

يتزاوج في العنوان المقترح "الأمن" و"الاستقرار" هما مبتغى "الطمأنينة" في مواجهة "التهديد والمخاطر"، فالانتقال من حالة إلى حالة يصاحبه "الخوف" من الآخر، وهو هنا "الهيمنة اللغوية التي هي النتيجة و السبب معاً لأنواع من الهيمنة السياسية والاقتصادية والإعلامية" أو حالة "الثنائية اللغوية" غير المنتجة التي تُحدث "التمزّق" اللساني والفكري وبالتالي الاجتماعي فيكون "اللاّ استقرار" والخلل في العلاقات التواصلية بين الفئات الاجتماعية والنّخب.

إنّ استخدامنا مفهوم "الأمن اللغوي" ليس تساوقاً مع نصوص الدفاع عن لغات الهامش ضدّ اللغة المركز كما هو الحال في فرنسا واسبانيا، ولكن نلتقى مع هؤلاء في المعاناة من "الهيمنة" التي تُحدث الاغتراب والتمزق اللغوي . الثقافي،

خصوصاً إذا كانت استمراراً لهيمنة تاريخية وتَحُول دون تطوير اللغة الأم، وانتشار المعرفة.

مع "هيمنة إدارية نخبوية" من طبيعتها المحافظة على مكتسباتها التاريخية والمصلحية، كما تُوسّع من الهوّة الاجتماعية والتراتبية فئات بيدها السلطة وأخرى حظّها مع العربية ممارسة التدريس وإمامة المساجد وبعض قطاع الإعلام.

كما أنّنا لا نستخدم هنا مفهوم "الأمن اللغوي" ونحن مأسورون لمضمون قديم انكفائي يخاف من التجديد واللغات الأخرى، ولكنه يرى في تطورات التقنية . الرقمية الجديدة وسيلة للأمن وفي نفس الوقت للا أمن إذا لم نطّور لغتنا ونعتبرها حصناً وثغراً لهويتنا أمام "الهيمنة الجديدة" التي يسعى إليها الأقوياء بفرض "نمطية واحدة في التفكير والسّلوك"، من هنا يصبح "الأمن اللغوي والثقافي مرتبطاً بالأمن الاجتماعي والسياسي"، إنها "الثغور الجديدة" التي

تحتاج إلى "مرابطين" وسيلة دفاعهم الوحيدة "المعرفة والاجتهاد".

ومحاولتنا في هذه الدراسة تركز على ربط الاستقرار الاجتماعي بمعالجة قضايا اللسان والهوية علمياً باستثمار التطورات التقنية الجديدة وبضخ أموال استثمارية في خدمة هويتنا ومواصلة الدفاع عن منظومة قوانين ومواثيق تحمي لساننا ومرجعيتنا الوطنية والتاريخية، فبالعودة إلى التقارير الصّادرة في الخمس سنوات الأخيرة تكاد تجمع على أن اللغة العربية في أزمة، وتواجه تحديات حقيقية تتعلّق بتعليمها واكتسابها واستخدامها، والإبداع والنقد بواسطتها، كما أنها تواجه مشكلات تتعلق بمعالجتها آلياً في تقانات المعلومة الحديثة، كما يلاحظ انخفاض عدد المواقع المكتوبة بالعربية على شبكة الإنترنيت، حيث قدّر عدد المواقع العربية بنحو 5,330 مليون مقابل 27 ,400 مليون موقع فرنسي، كما لاحظ التقرير أن المدونات الإلكترونية التي صارت ملاذاً

للشباب تستخدم فيها اللغة العامية أو كتابة الحروف العربية باللغة اللاتينية، ونفس الشيء في الرسائل القصيرة عبر الهواتف النقالة[1].

مصطلح الأمن: من المفهوم العسكري إلى المفهوم الإنساني الشامل

يتميز المفهوم في حقول المعرفة الإنسانية والاجتماعية اليوم بالترحيل والتمدّد، فالترحيل قد يكون من مجال معرفي علمي دقيق بحت إلى المعرفة الاجتماعية أو في نفس المعرفة من اختصاص إلى آخر أو من سياق ثقافي خاص بشعب من الشعوب إلى آخر، أي إلى ثقافة شعب آخر، أما التمدّد فمثل لفظ "الأمن" الذي انتقل من معناه التقليدي أي "حماية الحدود الإقليمية" والقصد طبعاً هنا

[1]. التقرير المعرفة العربي 2010 . 2011، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، دبي

"الأمن العسكري" إلى معنى مركزي في العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الأولى، ومن معاني "الأمن" اليوم "التحرّر من مخاطر التهديد، أي السّعي نحو الطمأنينة" وهو أحد أسباب نشوء الدولة بالعودة إلى رأي الفيلسوف توماس هوبز ونظرية العقد الاجتماعي، فهي تحمي . أي الدولة . بموجب عقد افتراضي تخلّى فيه كل أحد عن حقّه في الحكم مقابل الحماية من الحاكم، والمعنى الواسع . الممدّ . لمفهوم الأمن يتحقّق في:

. تأمين كيان الدولة داخلياً وخارجياً.

. تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

. تحقيق الرضا التّام لأفراد المجتمع[2].

---

[2] . سليمان عبدالله الحربي، *مفهوم الأمن: مستوياته وصيغه وتهديداته*، المجلّة العربية للعلوم السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،عدد 19، صيف 2008، ص 9.

وللتمييز بين المعاني التقليدية "للأمن" والمعاني المعاصرة له يلجأ الباحثون وكتاب تقارير التنمية والمنظمات الدولية إلى استعمال الإضافة التمييزية الوصفية، فيلحق لفظ "الناعم" للأمن حين يتداخل "أمن الأفراد بأمن الدولة والمجتمع" مثل التطرف الفكري، والجريمة، وتفاقم الأمراض، والفساد ...إلخ في مقابل "الأمن العسكري"، كما تلحق لفظ "القومي"، فـ"الأمن القومي" قيمة إستراتيجية تتعلّق بالاستقلال والسّيادة ومصالح الدول وكيانها وقيمها الوطنية، إنها "تصور إستراتيجي ينبع من متطلبات حماية المصالح الحيوية الأساسية لأي شعب، بحيث يطرح في جوانبه المختلفة عناصر الحماية المركزية للمصالح الحيوية، ويقدّم الإجابات النابعة من التصورات المستمدّة من التاريخ والجغرافيا لكلّ المعضلات التي تواجه الوجود الحي لأية أمة من الأمم"، كما يمكن ذكر الملحقات التالية "الأمن الإقليمي"، "الأمن التعاوني" الأمن التنسيقي"...إلخ ، وقد فضل تقرير التنمية

العربية الصادر سنة 2010 . 2011 تبعاً في مضمون المعنى لتقارير التنمية العالمية استخدام مفهوم "الأمن الإنساني" المعبّر عن معنى جوهري يتعلق بالإنسان، فتحقيق ذلك الأمن يعني: "حاجة المواطن إلى الرعاية الاجتماعية والصحية والثقافية، والوصول إلى حقوقه التي تضمن له حياة كريمة وحرّة" [3]، ومن مهددات "الأمن الإنساني" التلوث، والإرهاب والتطرف الديني والعرقي...إلخ، ويمكننا نحن كبلدان تعاني من صور الهيمنة المتطورة اليوم ونتائج العولمة والتغيرات الدولية الجديد إضافة مهدّدين لأمننا: . التدخّل في سيادة الشعوب.

. والمسّ بالمعتقد والخصوصية الثقافية ومنها "اللغوية".

---

[3] . الرجع نفسه، ص 11.

وهذان المهدّدان يكون من نتيجتهما ضرب استقرار المجتمع وانسجامه، وإحياء ثقافة "القبيلة" بما تعنيه من طائفية وعرقية وجهوية.

العولمة والأمن اللغوي

تبعاً لما أشرنا إليه وجب تحقيق الأمن من خلال إزالة التهديد بالمعنى التقليدي "العسكري" أو بالمعنى المعاصر الإنساني "حياة المواطن في عيشه وحريته وهويته"، بلغة فقهائنا "درء المفاسد قبل جلب المنافع"، ومفسدة التغيرات في مجال العلاقات الدولية وعوالم الاتصال الجديدة والتطورات الجينية "البيولوجيا" هي "تفتيت منظومة القيم التي تحمي الإنسان واستقرار مجتمعه" أو محاولة "تنميط فكره وسلوكه وقولبته" تحت مسميات برّاقة تتخذ من قداسة الحريات والحقوق وقيم التحديث رداءً وتأويلا يبتغون فيه "تجديد الهيمنة" ضمن علاقات جديدة تحتكم إلى حدود جديدة

"حدود الهوية والثقافة" بتعبير وبرؤية أصحاب مقولة "نهاية التاريخ وصراع الثقافات".

من أجل حماية تلك الحدود المشار إليها بالمعنى الأمني الجديد وليس في غلقها وإبقائها على ماضويتها يفضل بعض الذين يرابطون اليوم في "ثغور الهوية" استعمال المفاهيم الثلاثة: "الأمن الفكري" الأمن الثقافي" والأمن اللغوي" وهي تتعلّق بثنائية جديدة يتزاوج فيها التضّاد والتلاقي والتثاقف، ولها صلة بالعلاقات الدولية وحوار الأديان والثقافات، فأمام الثنائية الجديدة "الهوية والعولمة"يكون التجاوز في بعض مضامين إشكالية "الأصالة والمعاصرة" أو "التقليد والتجديد" التي طرحت في فضاء ثقافي . تاريخي تميّز بالكفاح في المشرق ضدّ "الأتراك" وفي المغرب العربي ضدّ الاحتلال، كما أن الخصوصية المشرقية التي طرحت فيها مسألة العروبة والأقليات انسحبت مثل هذه الأفكار على النّخب عندنا دون وعي للتمايز بين الخصوصية التاريخية

بين المشرق والمغرب، ومنها أيضاً مفهوم "الأمن الفكري" الذي تستخدمه بعض المراكز الرسمية في المملكة العربية السعودية والذي يحيل مباشرة إلى قضايا العقيدة والقيم الإسلامية في مواجهة العولمة والحركات الجهادية التي تبنّت السلفية القتالية، واستدعى ذلك قيام "جنود من المشايخ أوّلت الميراث الفقهي الوهابي" لحماية الدولة القائمة واستقرارها أمام تأويل التكفير والدعوة إلى إقامة الخلافة الإسلامية.

أما "الأمن الثقافي"، فهو الأكثر استعمالاً من الأول وطرح في مواجهة العولمة في تسعينات القرن الماضي، ويقصد مستعملوه "الحفاظ على الذاتية والثقافية"، وهو لا يعني العزلة أو المواجهة، هذا المعنى الإيجابي الذي يتبناه أصحاب الدعوة إلى "الخصوصية القومية" وينتج عنه معنى بنائيا تركيبياً "القدرة على توفير حاجاتها، على الإنتاج والتراكم، ورفع خطر الخوف من العجز وفقدان القيم الثقافية

والرمزية، ونشدان التطور والتقدم" هنا يرادف الإنتاج ولا يحوي دلالة سلبية من قبيل الدفاع الإنكفائي، وإذا حاولنا تتبع ربط "الهوية باللغة" عند الغرب فإننا نجد خمس مجموعات ثقافية . لغوية متصارعة داخل العولمة، من أجلها وضدّها في نفس الوقت:

. المجموعة الإنجليزية "بريطانيا والولايات المتحدة والقسم المتحدث بالإنجليزية من كندا.

. المجموعة الفرنسية التي تضم خمس دول TV5

. المجموعة الجرمانية التي تتوسع نحو أوربا الشرقية.

المجموعة اليابانية.

. المجموعة الصينية.

إن العولمة اليوم تخلق حدوداً جديدة بين الأصيل والطارئ، وهذا التعارض بين العولمة، فمسألة الهوية ظاهرة يعيشها أيضاً الغرب نفسه موطن العولمة ومصدرها، وللحدّ من هذه الإشكالية والحدّ من آثارها ينبغي . بحسب هؤلاء

الذين يرفعون شعار "الأمن الثقافي" بالمعنى الايجابي البنائي[4].

تتحدان العولمة والهوية بواسطة عالم ثالث هو العالم الاعتباري . الافتراضي . والذي ينافس العالمين التقليديين عالم الحسّ وعالم الشهادة، ويمكن أن ينوب عنهما، بحسب تعبير عابد الجابري الذي يرى لتجاوز هوية السيبرانية التي حلّت محل الحداثة بتجسير بين عالم المدينة وعالم الريف

إنّ التجديد الثقافي لا يمكن أن يتم إلا من داخلها . أي العربية .، بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها والتماس وجوه من الفهم والتأويل لمسارها تسمح بربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل واعتماد

[4] . محمد عابد الجابري، مجلة فكر ونقد، العدد 56. ص، 7

الإمكانات اللامحدودة التي توفرها العولمة نفسها وفي مقدمتها العلم وتكنولوجيا[5].

وإذا ما تتبعنا آثار العولمة في البلدان العربية في السنتين الأخيرتين فقد بدت آثارها في المواجهة الدموية الجديدة بين المنتفضين والسّلط في البلدان العربية، أي أن التأثير المباشر كان على المستوى السياسي، مسّ هذه البنية لبقائها رهينة التسلط التقليدي وحتى الحصون التي بنتها من الشرعية التاريخية وعنصر التخويف من الغرب وحماية الهوية كانت بيتاً من نسيج عنكبوت، وتلازم ذلك مع التضحية بالاستقرار الاجتماعي وانسجامه.

الإزدواجية اللغوية وثقافة الهامش

---

[5]. المرجع نفسه، ص8.

طرح مفهوم الأمن اللغوي تاريخياً ضمن "هوية الأطراف" في فرنسا وبلجيكا وإسبانيا، والصراع الفرنكو . الانجلو في كندا بالخصوص، وقد مرّت الأبحاث حول زوج *"الأمن واللا أمن اللغوي" بثلاث مراحل*[6]*:*

. كان السّبق لعلماء النفس في دراسة ما يسمى "الوعي اللغوي" في إطار الإزدواجية اللغوية فرنكو . انجلو في كندا في سنوات الستينات من القرن الماضي، وتبين هذا الخوف من الازواجية من خلال تجارب وأبحاث ولاس لامبار Wallace Lambert الذي طرح مفهوم "المتلقي المقنّع" أي الذي يفكر بطريقة معينة ضمن حالة نفسية تنتمي لثقافة ولغة تختلف عن التي يجيب بها عن الأسئلة "حالة الاختلاف بين التفكير والتكلم".

---

[6] William Labov, Sociolinguistique,PUF, P 54

. المرحلة الثانية أبرز بحوثها قدّمها وليام لابوف William Labov وتخصّص في ثقافة أمريكا الشمالية وكان له الفضل في استعمال " الأمن اللغوي" إلى جانب نيكول قينيي.

. المرحلة الثالثة، استمرت فيها البحوث حول "الأمن اللغوي" وارتبطت بالجهة اللغوية لكل بلد أي الخصوصية اللغوية لمنطقة ما في مواجهة هيمنة لغة واحدة مركزية، أي ما يدعى بالأقليات اللغوية وهنا نذكر أبحاث ماري لويس مورو Marie-Louis Moreau وسيسيل بوفوا Cécile Bauvois

هكذا يصل المتتبعين لظهور هذا المفهوم للمرة الأولى سنة 1966 في أعمال وليام لابوف، واستطاع العالم الاجتماعي بيار بورديو ربط ذلك بالطبقات الاجتماعية بين

المتحدثين باللغة المحلية أو اللهجة والطبقات المستعملة للغة الرسمية المهيمنة، وتحدث عن الخلل الاجتماعي نتيجة ذلك.

يمكن القول أن تنشيط هذا المفهوم تمّ في إطار تنمية اللهجات واللغات الإقليمية في مواجهة اللغة الرسمية المهيمنة، ولذلك يردّد بعضهم عندنا باعتماد "الدارجة" كمخرج لغوي ويسعون في تثبيت ذلك من خلال تشجيع قنوات إعلامية فيها تهجين وخليط من كلمات منها ماله أصول بلهجات محلية وفرنسية تنطق بشكل عربي في آخر الكلمات، هجين من الجمل يعتقد أصحابه أنهم بذلك يتواصلون ولكنهم يعبثون بالعلاقة السليمة بين "اللغة والتفكير"، ولكن بالعودة إلى الدراسات المشار ليها آنفاً من بعض الذين ألفوا وكتبوا ضمن زوج "الأمن واللأمن اللغوي" يمكن القول أنهم قدّموا تحليلاً يمكن الاستفادة منه في ربط ذلك بالاستقرار الاجتماعي والحؤول دون التطرف والتحصّن بالثقافة "العرقية"، وهو ما وسّعه مفكرون غربيون حين

شخصوا "أزمة التواصل" ليس فقط بين المركز والهوامش في بلد واحد ولكن أيضاً بين الغرب والشعوب الأطراف واعتبروا ما وقع في 11 سبتمبر نتيجة "للهيمنة القديمة . الجديدة"، وما وقع من أحداث في ضواحي باريس في السنوات الأخيرة تعيده المناقشات إلى فشل السياسة الفرنسية في دمج الهامش لغة "الفرنسية" وحضارة "العلمانية".

وإذا ما حاولنا الربط اليوم بين اللغة وما يشهده العالم اليوم من تطورات تكنولوجية مهيلة وسريعة واتصال مرقمن متميز، يطرح أمام الشعوب المتقدمة والنامية في نفس الوقت الانشغال بمصير لغاتها وثقافاتها وهوياتها ومستقبل منظومة القيم المشتركة المؤطرة لقيم المجموعات، ضمن هذا التطور العلمي والتكنولوجي الذي لا يصاحبه بنفس وتيرة السرعة الاجتهاد والتفكير حول قضايا الهوية واللغة والثقافة تطرح علينا اليوم قضايا تحدّ حقيقية تتعلق بـ"أمن لغتنا" سواء العربية أم الأمازيغية، فالحدود الجديدة تستدعي تعبئة من نوع

خاص وهي "حدود اللغة والهوية" وليس معنى هذا الغلق والجمود ولكن التفاعل والتثاقف الحقيقي هو في تطوير لغتنا العربية وجعلها قابلة للتكيف وحاملة للمعرفة الجديدة وجزءاً من النظام الرياضي والمنطقي للوسائل التكنولوجية الجديدة وهنا نكون كوّنا إستراتيجية "الأمن اللغوي"، على اعتبار أن طبيعة النحو العربي رياضية ورسمها جمالي وإعادة هذا التزاوج باجتهاد جديد "العلاقة بين الطبيعة الرياضية للغة العربية وجماليتها" وتيسير نحوها واستعمالها المكيّف وتفتحها باستغلال الوسائط الاتصالية الجديدة وتفعيل قوانين ترسيمها إدارياً وتعليماً يمنحنا إيصال المعرفة وتعميمها "وهذا شرط التنمية البشرية" وتواصلاً إيجابياً بين "المسيطرين إدارياً" و"المنفذين"، بين النخب المتعلمة التي بيدها مصدر القرار وبقية الفئات والنخب الأخرى ومنها "النخب الدينية" التي تمتلك "رأسمال المعنى" ولتأويلها "القداسة" في وعي الجماهير، ويكون من نتيجة ذلك الاستقرار الاجتماعي، ففي

تقارير جمعيات "محو الأمية" في الجزائر يرجعون إقبال المواطنين الذين لم يكن لهم حظ في التعليم على فكّ الحروف ونطقها إلى "الرغبة الروحية" في قراءة القرآن الكريم.

إنّ "الأمن اللغوي" والسّعي نحو عربية حديثة ومتطورة معناه التفتح وضمان عدم اضمحلالها أمام اللغات الأخرى التي صار بعضها جزءاً من المنظومة التربوية في البلدان العربية، الفرنسية في المغرب العربي والإنجليزية في المشرق العربي، كما أنّ طرح مسألة الأمن اللغوي ليس بديلاً عن عبارات "الغزو الثقافي" أو ثنائيات "الأصالة والمعاصرة" التي فُكّر فيها ضمن رؤى التوفيق والتلفيق سابقاً.

إن التطورات التكنولوجية والرقمية تساعد اليوم على تكنلجة اللغة العربية وتحديثها أكثر من قبل، فالنظام المنطقي والرياضي للأجهزة الجديدة لا يفرق بين لغة وأخرى في الاستيعاب والتعامل وهو ما يبطل المناقشات السابقة حول قدرة أية لغة على التطور والحياة، وبفضل الوسائط الرقمية

الجديدة لم يعد من المفيد مناقشة كتابة اللغات الشفاهية من اليمين إلى اليسار أو العكس، فهذه الوسائط "كتابة هيروغليفية القرن الجديد" ولو أنه من المنطقي والتاريخي أن تكتب اللغات الشفهية بحروف "المجاورة اللغوية" ونعني بها الاشتراك في التصويت والبيئة التاريخية والاجتماعية للغة مكتوبة مقعّدة "قواعد" وأخرى شفهية، وقد شهدت الثقافتان واللغتان "مصاهرة تاريخية" على مستوى التدين والاجتماع واللغة.

إنّ التعمد الناشئ عن جهل أو قصد في عزل اللغة العربية واتهامها بالجمود هو الذي قد يسبب في حرمان شعوبنا من تطوير لغتها وحياتها التي تكمن في اللّسان الذي تعبر به "فاللغة هي مسكن الإنسان" أي وجوده، ونذكر هنا "الهواتف النقالة" التي تصدّر للبلدان المشرقية والخليجية بالأحرف العربية أمّا في المغرب العربي فتخلو من هذه اللغة وظهر عندنا المراسلات الإلكترونية بمضمون عربي وأحرف

لاتينية، وهو مما يشكّل تمزقاً في اللسان والتفكير وسوء التواصل وفي إسرائيل تكتب اللافتات بالأحرف العبرية والعربية أما عندنا فيقع الخرق والتعدي بالكتابة الفرنسية والصينية.

إن علاقة اللغة بالفكر لم تعد تطرح بالمضامين الفصلية السابقة في التفضيل أو الأولوية أو ضمن سؤال من هو الأسبق، بل إن علم الأعصاب وعلوم أخرى مصاحبة لها تؤكد أن اللّغة والتفكير جزء من العملية الدماغية، هكذا تتلاقى الاكتشافات العلمية والتطورات التكنولوجية في التأكيد على أنّ للغة حياة واستمرار هذه الحياة في بقائها كأداة للتواصل ضمن قنوات التواصل الجديدة وتحويلها إلى أداة تربوية وتعليمية ولو بإصدار قوانين ولوائح ومؤسّسات عليا تفرض ذلك خصوصاً في سعينا نحو "مجتمعات المعرفة" التي تتطلب اللغة الأمّ المعبّرة عن الهوية التي تضمن

"التنمية البشرية" بانتشار المعرفة على مدى أوسع من المواطنين، فالمعرفة رغم نخبوية المصدر لكنّها لا تكُن لها الفعالية إلاّ بانتشارها في وسط الشعب.

إن اللسانيات الحديثة شديدة الاتصال بالرياضيات والإحصاء والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا والاثنولوجيا والتاريخ والأدب والسياسة وهي شديدة الاتصال بوسائل الاتصال الحديثة والإعلامية ولا أحد ينكر في هذا المجال الأهمية البالغة التي تحتلها اللسانيات والثورة المعرفية، وأن تضييق الهوة القائمة بين الفصيح والعامي عبر التمدرس ونشر الثقافة والعلوم[7]، وحلّ معضلة الثنائية اللغوية لا يكمن في التقليل من شأنها وإنما في السّيطرة عليها والعمل على نشر العربية الفصيحة بداية من سنّ الطفولة.

---

[7] . عبد الحميد عبد الواحد، من دراسة منشورة له في الكتاب الجماعي:اللسان العربي: الواقع والآفاق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 66

العربية وخصائص المعرفة الجديدة

تتميز المعرفة الجديدة بمجموعة خصائص لا يمكن تحقيقها إلاّ بالترجمة ونشرها باللغة العربية في مجتمعاتنا من أجل أمن صحي وبيئي وتربوي ونشدان الاستقرار الاجتماعي.

1 . المعرفة الجديدة ذات طبيعة جمالية، لا تقاس بالتقييم التقليدي والنقدي الذي يخضع للنظريات الجمالية ولكنه يخضع لعمليته الإبداعية المرتبطة بإنشاء أشكال جمالية جديدة لها مردودها الاقتصادي والتأثير السياسي والاجتماعي وعلى الرأي العام.

2 . سمتها ترتكز على المعلومة والمعلوماتية ويمكن أن تعاد وتستهلك أكثر من مرّة، وفي ذلك تأخذ طابعها الاجتماعي وقدرتها الدينامية على التطور عكس البضاعة الاقتصادية المنتجة لاستعمال واحد ولفرد واحد، وهذا الطابع

التكراري ألاستعمالي للمنتوج الثقافي يعطي له روح التنوع في الاستعمال والصيغة الجماعية التي تقوي روح التنافس والمغامرة.

3 . بفضل هذه المعرفة تتحول الثقافة والقيم الرمزية إلى قيم للتقدم والدفاع عن الحريات والديمقراطية، وهنا يقع التنبيه على أننا في العالم العربي سنشهد صراعاً جديداً بين الثنائيات التقليدية التي عرفناها منذ الأفغاني وعبده وفرح أنطون بين التقليد والتجديد، الإسلام والحداثة، وهي صراعية في جزء منها مزقت العقل العربي وشلّت قدراته نحو عملية إبداعية حقيقية بدل جدل شبيه بجدل الكلاميين الذي حذر منه الغزالي في القرن الخامس الهجري "إلجام العوام عن علم الكلام"، إن الثقافة والقيم وتداخلاتهما مع الجماعة في تكوينها واستمرارها يشكل في العالم العربي أهمية مواجهات جديدة وتفكير جديد إبداعي.

4 . المعرفة الجديدة أو المصنع الجديد سوف لن يحتاج في الغالب إلى كثير من الشروط التقليدية للقيام بدوره الإنتاجي بل يكتفي بقيمة واحدة وهي القوة الابتكارية . الجمالية التي قد تأخذ هذا الطابع أو ذاك ثقافياً، أي أنها تصطبغ بالقيمة التاريخية والثقافية للمجموعات المنتجة لهذه المعرفة، وهنا سيصبح من العسير رفض العملية الاستيرادية كمستهلكين بحجّة أن ذلك يحمل طابعاً خصوصياً للثقافة غريبة عنا، أي أن الحفاظ على الهوية لن يتم بثرثرة التحذير والتهويل من أن قيمنا معرضة للغزو بل تصبح العملية الإبداعية هي الحصانة الوحيدة الحقيقية وليس بقرارات وتشريعات تمنع استيراد هذه المعرفة أو تلك هذا الكتاب أو ذاك، ومن المضحك إلى حدّ السخرية أن نعالج مثلاً ظاهرة التطرف وتفشي السلفية الجهادية بمنع هذا الكتاب أو ذاك، في حين ننسى أن نقدم على الأقل لماذا هذا التأثر الذي يكتسح عدداً كبيراً من الشباب؟ ولماذا لا ننتبه إلى ألعاب

الفيديو وتأثيراتها ؟ وهل بإمكاننا أن نجيد النشر في الألعاب الإلكترونية[8]؟.

إن الخصائص التي أشرنا إليها ليست الوحيدة بل هناك خصائص أخرى لاقتصاد المعرفة، ولكن حاولنا تلمس بعضها لنتحدث عن التصورات التقليدية للثقافة والكتاب والنشر، إننا لا شك مقبلون على تبعية جديدة، على هيمنة جديدة، سنستورد "الصناعات المعرفية" ونبقى مستهلكين إن لم يكن هناك إقلاع حقيقي نحو عصر جديد في عالمنا العربي، يبدأ من انهيار حقيقي لأنماط السلطة التقليدية التي لم تستطع أن تنجز مهامها الحضارية، وفي إعلامنا اليوم نهتم بالتقارير الخاصة بالديمقراطية وحقوق الإنسان ونهمل

---

[8] . بومدين بوزيد، العربية ومجتمع المعرفة، ضمن أعمال جماعية ، الطريق إلى مجتمع المعرفة باللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، سنة 2009.

أو نقلّل من قيمة التقارير [9] حول المعرفة والتعليم الجامعية والأمية وهي تقارير في جوهرها ترتبط بالتقارير الاقتصادية والسياسية، وهذه التقارير وإن كان بعضها يحاول خلق اليأس عند الرأي العام العربي والقناعة بأن لا مخرج لنا إلا بالخضوع للهيمنة الغربية، وهي هيمنة واقعة فعلاً وستزداد سوءاً في العقود القادمة أمام اقتصاد للمعرفة جديد لن تعود فيه مصادر الطاقة هي الأولى.

بعض هذه التقارير يعطي وجهاً شاحباً لمستقبلنا لكوننا ما زلنا لم نستطع استيعاب التقدم والتطور الحاصل اليوم في الغرب وبعض المجتمعات الآسيوية، إنّ احترام حقوق الإنسان والدفاع عن الحريات والديمقراطية هي قيم

---

[9] . جلّ التقارير . رغم أهميتها وشفافية بعضها وموضوعيتها إلى حدّ ما . إلا أنها توحي بفكرة حتمية التخلف لهذه البلدان النامية ومنها العربية طبعاً، كما أن بعض هذه التقارير عادة لا يشارك في تحريرها مختصون من البلد الذي يقدمون تقريراً حول حقوق الإنسان فيه أو التنمية البشرية أو الصناعات الثقافية.

ثقافية ومعرفية تدافع عنها المجموعات قبل أن تكون قناعة وتشريعات للسلطة القائمة، ولكن حين تستمر معنا قيم التعدي على حريات الآخرين وتشجيع الجهل وانتعاش الخرافة حتى في عودتنا إلى تراثنا ليس كاستثماره جمالياً وصناعياً ولكن كخرافة والتماس البركة، وتتقاطع هذه المسائل مع سلطة قائمة على ما تسميه المعجزات التاريخية وترسخ قيم الزعامات الكاريزمية وتتفشى في عهدها العودة للامعقول مترابط كل ذلك مع الرشوة والفساد المالي بطبيعة الحال، سنكون أمام قيم تحول دون الإبداع وصناعة معرفة جديدة، كما أن ذلك عامل جوهري في فهم لماذا آلاف الشباب يتجه نحو السلفية الجهادية والعلمية كقناعة حقيقية في مواجهة مجتمع يراه "دار كفر"، إن ذلك يتآزر ويتغذّى من بعضه.

مهما كانت الخطابات الثقافية أو السياسية اليوم المحددة بآليات هي في جوهرها –كما قلت عائقاً– أمام القدرة على التجديد والإبداع والمشاركة المثْلية في الحضارة

الإنسانية القائمة والتي ستتطور بسرعة فإننا بالتأكيد ستفرض علينا هذه المعرفة الجديدة التخلي عن كثير من القضايا المستهلكة في فكرنا العربي المعاصر.

صناعة الثقافة أو الإبداع تقوم على الأسس التالية:

أ . المادة التراثية والثقافية والجمالية، وهي تشكل تجربة تاريخية لأمة ما، إضافة إلى المحصلات المعرفية الجديدة في شكل نصوص أو جماليات فنية، وهذه المادة المعرفية في الغالب تكون مادّة خام وتتعرض منذ قرنين للقراءة والتأويل دون أن تتحول إلى ثروة حقيقية فاعلة . أي علينا تحويله إلى قاعدة للتطور والتقدم بمعالجته وجعله يحيا معنا مرّة ثانية .

ب . معالجة وقراءة هذه الثروة التراثية والمعرفية ليس بالاستعانة بمناهج التحليل الجديدة اليوم كـ "تحليل الخطاب" ولكن بالاستعانة بالتقنيات الجديدة اليوم المستخدمة في المجال المعلوماتي والبيولوجيا، أي كيف نستثمر ذلك تقنياً ونستوحي من هذا التقدم الحاصل في هذين العالمين اللذ ين

يسيران نحو التوحد كما رأينا ذلك سابقاً، هذا الأساس يعتمد كذلك على استخدام شبكات الاتصال وقنواته المتطورة، إن التكنولوجيا تعمل على إسقاط الحواجز الفاصلة بين المادي واللامادي وتجلّى ذلك في "تكنولوجيا الواقع الخائلي"، فالواقع الخائلي هو نوع من التسامي الرمزي، تخليص من واقع الجسد، لقد اختلط في الخطاب الخائلي بين التكنولوجي والميتولوجي والابستمولوجي.

هل يمكن أن تنجح تكنولوجيا المعلومات فيما فشلت فيه ثلاثية "الفلسفة، والعلوم، والفنون" عن طريق دمجها لهذه المعارف الثلاث في وحدة رمزية مكثفة ومتسقة، ومن خلال كشفها عن شبكة العلاقات التي تربط بينها[10]؟.

---

[10] . نبيل علي، *الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب العربي*، الصادر عن سلسلة "عالم المعرفة" الكويتية سنة 2002، ص 53.

. إضافة إلى الدين ستكون الثروة الرمزية من لغة وقيم عامل غناء للفرد والمجموعات وسيشهد هذا العالم الرمزي تطوراً وتجديداً وننتقل من ثنائية التقليد والتجديد إلى أن يكون التقليد جزءاً من العملية التنموية ومن أسباب توطين مجتمعات المعرفة في البلدان العربية والإسلامية، كما أن إشكالية اللغة لن تكون عائقاً، فالتطور الرقمي والتكنولوجي يساعد على تطوير اللغة وتحديثها والتعامل معها مهما كانت طبيعتها النحوية والصرفية، وهنا نكون أمام تحد حقيقي وهو كيف نجعل اللغة العربية لغة التواصل وبناء قاعدة مجتمع المعرفة، فاليوم يتأكد أن التقدم نحو هذه المجتمعات يقتضي استخدام اللغة المشتركة التاريخية دون انغلاق لغوي نحو الآخر، وهنا يكون علينا تأصيل الوضع العالمي للغة العربية.

واقع اللغة العربية فيعيدها السنوي♥

أ د صالح بلعيد – جامعة تيزي وزو

إخواني الحضور: عوّدنا المجلسُ الأعلى للغةِ العربيةِ على أن يحتفيَ بهذا اليومِ الكريم، يومُ اللغةِ العربيةِ العظيم، فلا يسعني إلاّ أن أقولَ كلاماً بالمُنافحة، وهذا ما اقتضتْهُ المُناسبة، وأملكُ بعضَ الكلماتِ المنثورات، ولستُ بشاعرٍ يَهْدِي المنظوماتِ الشعريات، ولم أتوقّفْ في ميناءِ المعلّقاتِ الجميلات؛ لأنهلَ المُسمّطاتِ القديمات. ولكن في لسانِي كلامٌ حزين، أصرّح به بِأَسًى وهين، فقد ضَعُفنا في هذا الزمان، وأخافُ ألا نصلَ إلى برِّ الأمان، فقد خلا الوقتُ من

♥ أعدّت هذه الكلمة لِتُلقى في يوم الاحتفاء بأول مارس 2013، الذي سنّته الألسكو يوم الاحتفاء باللغة العربية. تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، بفندق الألوية الذهبية، يوم 26 فبراير 2013. وقد تقدّم الاحتفاء قبل الموعد المقرّر.

العلماء، وأقفرتِ الدنيا من الفُضلاء، وممّن يُهمّهمْ الشأنُ العام، وممّن يُسَارعون في المَهَام. فشاهدي في ما أقول: رُؤيتي لوضع العربية المَهُول، وأنّ الأمورَ تجاوزت حدّ المَعقول، وفي نفسي شيء من المقول، وإنّي لست من أهلها المُبرّزين، و لكنّي من حُماتها المعلّمين ، فأغتنم فرصةَ التلاقي، وأقول ما يوجد في المآقي.

أيّها الجمعُ الحاضر: إذا استفتحتُ كلامِي في هذا المقام، بما يَشِينُ من الكلام، فيعني أنّ في الأمرِ **الخَطَر**، وأنّ في الموضوعِ الهَدَر، بعدما رأيتُ ما يصدرُ على لغتِنا من التقارير، وما يحومُ حولَها من المحاذير؛ فهذا يعني أنّنا سنُقهرُ في لغتنا، ويكتبُ علينا التاريخُ مَسْخَ هُويتنا، فما محالُنا يا قومُ مع الأقوام، وكيف نعتلِي شاهقاتِ العلمِ الهُمام، فكلّ يومٍ تسّاقطُ في أسماعنا انحرافٌ ركيك وهجينٌ لغويٌ سميك، فما استطعْنا التحكّمَ في لغتنا، وما جاريْنا اللغاتِ بتقهقرنا، فإلى أينَ نسير؟ وفي أيّ وضعٍ نمير؟

جاءَنَا تقريرٌ من الألسكو يقول: اتّخِذُوا الأولَ من مارس يوماً احتفائياً باللسانِ المبين، لسانُ لغةِ العالمين؛ فَهُوَ من الحافظين. وجاءَنا تقريرٌ من اليونسكو يقول: لسانُ العالمين مُهدّدٌ بالانقراض وأهلُه في تراضٍ واستعراض، وقد يدركُهُ **الخَطَر**، إنْ لم يكنْ محلَّ النَّظَر. بَصُرتُ بالتقريرين وخَلُصْتُ إلى أمرين: فأما تقريرُ الألسكو يقومُ على أعرابياتٍ عفا عليها الزمان، وما يزال يستكنه أيامَ كان، ويعتمدُ الإطنابَ في التنويه بالغانية، ويُثني بوافرِ الثناءِ على لغةٍ قد تكونُ الفانية، ويزيدُ يُهلّلُ بالأبياتِ العالية:

أنا البحرُ في أحْشَائه الدرُّ كامنٌ

فَهَلْ سَأَلُوا الغوّاصَ عن صَدَفَاتي

وأما تقريرُ اليونسكو فقامَ على الدراساتِ والاستشرافات، فلم تتدخّل فيه العاطفاتِ الرّنانات، ولا يهتمّ إلاّ بالحاجاتِ البيّنات، ويَقْرُبُ من المؤكّداتِ الواضحات. وترانِي بين تقريرِ الاحتفاء، وتقريرِ الاختفاء؛ أعانِي أزمةَ التحقيق، فأيُّهُما محلٌّ

التصديق. ولكنْ بعدما خَبَرْتُ الأمرَ بالتطبيق، رأيتُ أنّ تقريرَ الاختفاء؛ تسندهُ معالمُ الاكتفاء؛ فَمِن أروقةِ المؤتمراتِ العالمية، ومن تلك الدراساتِ الإستراتيجية، صَدَرَ التقريرُ **الخطير**؛ يحملُ ما سوفَ يحصلُ للعربيةِ من مصير، رجّحتُ القولَ بأنّ تقريرَ اليونسكو على صَوَاب، وقد عَلِمَ الأمرَ المُصاب، وهذا ما رأيتُهُ من جواب.

وفي البدءِ كان عليّ الإقرار؛ بأنّ أهلَ العربيةِ سببُ الدَّمار، نحن العربَ نعلنُ الخراب؛ بتهاوُنِنا المُستطاب، ففي المغربِ العربي تنتحر، وفي المشرقِ العربي تنتخر، والآن لا حيلةَ لنا ولو الْتأَمْنا أكتعين، أو بصمنا أبصعين، أو تكلّمنا أجمعين. بالفعلِ هناكَ العديدُ من مظاهرِ الانقراض، فنحن لا نُجلي عنها أسبابَ الضَّعْفِ والارتياض، فها هي العربية تدنُو من الخطورة؛ وبخاصةٍ في مواطنِ الضرورة، وتندبُ حظَّها مدحورة: وا عرباهْ ! لقد تخلّيتمْ عني وا أسفاهْ ! سكتّمْ عنّي فتداعتْ عليَ اللغات، ونمتمْ عنّي فتغلّبتْ عليّ المُلمّات،

فأرى ما يراهُ تقريرُ اليونسكو، ولم يَصْدُقْ تقريرُ الألسكو وإنّ زمنَ الانقراضِ آتٍ بالتّحديد؛ فكلّ ما هو آتٍ آتٍ بالتّأكيد، يا قومُ يا عربُ، فَبِمَنْ تستشهدون؟ وفي أيّةٍ حضارةٍ تندمجون؟ فهل تُقبلون بما تملكون؟ وفي الحاضر لا تملكون، فأينَ أنتمْ يا عربَ اليوم؟ أتتركونني لمَلِكِ الروم؟ ولا يسعني في هذا المقام إلاّ تكرار قول ذلك الشاعر الذي قال:

قلتُ لأقلامي اكتبي وانطقي فقالتِ الأقلامُ: وا سوءتاهْ
وشقّتِ الألسنُ من حُزنها وولولتْ واسودّ وجهُ الدواهْ

إخواني: إنّه لمن المخجلِ أن تَدُقّ ناقوسَ الخطرِ المؤسّساتُ العالمية، على وضعٍ آلتْ إليه لغة الجاهلية؛ لغةٌ نطقَ بها إسماعيل، وجاءَ بها القرآنُ عن طريق جبرائيل، وكَتَبَ فيها وبها العلماءُ الفطاحيل. فلم تستشعرْ مُؤسّساتُنا اللغويةُ خُطورةَ ما آلتْ إليه، وما سوْفَ تَقْدُمُ عليه، وأرى القائمينَ في بُرْجِهم العالي؛ لا علاقةَ لهم بالواقعِ المحلي، ولا تربطُهم بها إلاّ المناسبات وتبادلَ التهاني والجهرَ بأنّ كلَّ

شيء بَاهِي. فبعضُها تكشِفُ عن حسنِ نيّتِها في مارس، والأخرى في مثل هذا الشهر تعيش حربَ داحس، ثمّ تغوصُ في النّومِ إلى أول مارس. وا أَسَفَاهُ على مؤسّساتٍ دونَ روح؛ هياكلُ عجيبةٌ صَرُوح، وعلى ماضِي الزمانِ تَنُوح، فهل القومُ أحياءٌ يا إخوان؟ وأحقٌّ للعربية أنْ تُعلنَ نعيَها على يدّ الثكلان، والذين يردّدون: للعربية ربٌّ يحميها، وأنا لي جِمالي فَرُدّوها، فيصدقُ فينا قولُ ابنِ خلدون: عادةُ العَرَبِ ألاَّ يَتَسَنّمُون الهِضَابَ، ولا يَرْكَبُون الصِّعابَ، ولا يُحاوِلُون **الخَطَرَ**.

نعتْ لغةُ العَرَبِ من أَحْكَمُوا
لسانَ قُرَيْشٍ وتبيانَـها
وناحَتْ على مَنْ بَنَوا عِزّها
وأَعْلَوا بما أَثّلوا شأنَها

أعملتُ عقلي وقلتُ: أينَ مواطنُ **الخَطَر**؟ فرأيتُ في ما يرى الرائي، بفكرِ الصاحي، بأنّنا نُعلّقُ النقصَ على الغير،

ولا نعملُ في العربيةِ فِعْلَ السّيْر، وأنّ عقولَنا تعجزُ عن التمييز، وقرائحَنا غيرُ موضوعةٍ للتبريز؛ كأنّها أُعِدّتْ للتبرير، ونعيشُ بياتاً في التاريخ، وننكرُ فعلَ التهديدِ الصريخ ونرضَى باستعمالِ ما يُجَمِّل ويَزِين، ولا نَتَجَنَّب ما يُدنّس ويَشِين. نحنُ العربَ نعلنُ حُبَّنا للعربية، ولا نُجلي عنها مواطنَ المرجعية، فمثلُنا مثلُ الشاعر البرذوني الذي سُئل عن حالِ صنعاءَ فقال:

ماذا أحدّثُ عن صَنْعاءَ يا أبتِ

مَليحةٌ عاشِقَاها: السّلُ والجَرَبُ

نحنُ المختصّين لا ننكرُ فضلَ العربيةِ في العلانية، وتأخذُنا العصبيةُ والشعوبية، وننبُذُها في الكتمانية، ونُظهِر لغيرِها الانتمائية. وإنّه لو أخذْنا في تِعدادِ أهلِ الاختصاص، لنفذ المدادُ من القرطاس، ولكن فيهمُ العليلُ والنبيلُ والرذيلُ والمرناس، فَكَثُر اللغطُ والزلطُ والسلْط، وقلّ العملُ والحلُّ والربْط.

يقول المتحدّثُ إليكم: إنّ البعضَ منّا يستغلُّ العربيةَ في غيرِ ما تُريد، وهي في أمرٍ عنه لا تَحيد فَيجَعَلَهَا لا تخرجُ عن الوَعْظ، ولا تطرحُ أفكارَ الوَعْي، فلم تنلْ منهُ منالَ المنافعة؛ ولم تستفدْ بداً من المُرافعة، فَمِثْلُها مثل تلكَ الشجرةِ التي تحجُبُ الغابة، ولكنّها تَحْتَجِبُ في هشيمِ الغابة. وهناك بعضٌ من القوّالين المُنافحين؛ يقولُ ما لا يعمل؛ فتراهُ يُبدي الألم، ولا يُعطي الأمل، فلا يُلامُ الذئبُ في عُدوانه، إنْ يكنِ الراعِي عدوَّ الغنمِ في تِرْحاله. فَحَقاً وظُلْمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً، وسُكُوتُ ذوي الرأيِ أكبرُ جَسَامةً.

إخواني: علينا أن ندركَ بأنّ مواطنَ **الخَطَرِ** كثيرة، تَنْعِي لغتَنا في مواطنَ عديدة؛ فمن العقباتِ النفسيةِ بمعلوم، إلى التشكيكِ في استيعابها للعلوم، ومواطنِ معرفةِ النجوم، والعزوفِ عن التعليمِ بها في الجامعةِ بمقصود، وهو حَؤُولٌ دون تقدّمٍ منشود، بل دعوةٌ إلى بقاءِ الأجنبيات، وترخيصٌ لاستعمالِ اللهجات، بَلْهَ الحديثَ عن الإقصاءِ والتهميش،

وفي البحثِ والإدارةِ والبنوكِ يَنَالُها التشويش، وفي الشابكةِ والإعلامِ يَغْتَالها التهويش. ألم تنقلبِ الموازين؟ أليسَ في الأمرِ ما يُهين؟ ألا تَحُسُّون مثلي بتصدّع الفُصْحى؟ ألا تخافونَ أنْ تُصبحَ ذات يومٍ لغةً قُبْحى؟ ... وإنّه ليفيضُ وِعَاءُ الوَجْع من كثرةِ النّصال، فمن يَتَصَدّى للنّصال، آهٍ فمشاهدُ الوَجْعِ ضاربة، فأيّها تصدُّ لو تحدثُ الواقعة؟

ومع ذلك أقولُ: إنّه لو كنّا ندري، وندري أنّنا ندري، لعرفنا أنّ لغتُنا فاقتْ غيرَها فَضْلاً وشَأْناً وقَدْراً وفَخْراً، ونحن لا نُولِيها أَمْراً! بل لا يَهُمّنا واقعُها بُدّاً، ولا ما يُهدّدها هدّاً، ولا يُساوي انقراضُها نِقْمَة، فلتتقرضْ دونَ رَجْعَة. إنّ العربيةَ لغةٌ عاليةُ المكان، على مرِّ الزمان، فهي أمُّ اللغات، وأخلدُ الخالدات؛ فجذورُها سماوية، ومعانِيها سرمدية، وكما حَفِظْنَا عن أجدادِنا قولَهم: جُبتُ البحارَ وقطفتُ جنيَ الأزهار، وشهيَ الثمار، وسنيَ البحار، فما وَجَدْتُ لغةً لها يُحار؛ تلقتِ الوحيَ العظيم وحفظتْ نصَّهُ الحكيم، واستوعبتْ نَجْوى

العُشّاق، وحكيتْ لَوْعَةَ الفِراق، ووصفتْ فرحةَ التلاق وبَحَّتْ بسرّ الأسرار، وحكمةَ الفَلَك المُدار، وبَهْجَةَ الأرضِ المِدْرار، فهي الغنيّةُ والسوّية، وغيرُها من الدنّية، هيَ تفضيلٌ عن يقين، هيَ الحقُّ المبين، فهيهاتَ أن نفيَها حقّها من الوصفِ والإكمال ومن التبجيلِ والإجلال.

ومع كلِّ ما نقولُ من حقائق، فإنّها تعيشُ بعضَ السوابق، وزاراتُ التربيةِ تملأ القِرْبَةَ من فوق ووزاراتٌ تخرقُها دونَ طوق، فما أصعبَ أن تملأ، وما أسهلَ أن تطفأ. انقراضُ الفُصحى شبهُ ملموس، فلا نسمعُها إلاّ عند الخاصةِ بالمحسوس، والعامةُ تتداولُها بالمعكوس، هُجِرَتِ الفصحى فاستُبدلتْ بالعاميات، وتَبِعَها تعميمُ الهُجَيْنات. بدايةُ الانقراضِ تقرُبُ من حتمية، بما نرى فيها من تَعْمِية، حيث حَدَثَ فيها انسيابٌ لغوي؛ فالأصلُ فيها عربي، ولكنَّ النطقَ غربي، وهو نوعٌ من البلاءِ الذي جاءَهَا من وسائلِ الإعلام، بالإضافةِ إلى مُدوّناتِ الأغتام. انقراضُ العربيةِ قد يَحْصُل إلاّ إذا نهجنا

عَمَلاً يَجْمُل، وغيّرتِ الحكوماتُ ممارساتِها، وأصبحتِ العربيةُ بنداً من بنودِ تخطيطاتِها، ضمنَ سياسةِ التعريبِ الشامل، الذي يأتي في الإطارِ الكامل.

أيّها الحضورُ الكرام: إنّ مظاهرَ **الخطورةِ** تتنامَى باستمرار، ونشاهدُ العربيةَ في انحسار، ولا تصاحبُها أسبابُ الازدهار، فمطلوبٌ منّا معالجةَ ضَعْفِ تعليمِ العربية في مدارسنا، وتحديدِ مسبّباتِ التردّي لمستوياتنا، وهذا ظاهرٌ في نزولِ البكالوريا في انحدار، ونحن عن كلّ هذا في انبهار: عتبةٌ للدروس، إضرابٌ مدروس، العملُ لِمَن يستطيع، والنجاحُ للجميع، بالاستحقاقِ أو بالاسترزاق، إن لم يكن هذا ولا ذاك، فبالإنقاذِ المُريح، دون علامةٍ تُريح. فهلْ تسمحونَ أن نبقى في العالَم نَكِرَة وتُجْرَى علينا في بلادِ الغربِ التجربة، ونشيدُ بأنّنا الأكبرُ في الهمّة، والأعظمُ في الصّنعة والأفضلُ في الدُربة، والأمهرُ في الخدمة، ونبقى نردّد: عندنا فرسانُ اليراعة ، وأربابُ الصناعة وأهلُ البراعة ... أليس

الأجدرُ بنا إعادةَ النَظَر، بعلاجِ أمرِ هذا **الخَطَر**، أو لا بدّ من تغيير؛ يزيلُ فتيلَ التثوير. ولكن هل يمكنُ أنْ يحصلَ التغيير، ونحن لا نَسْعى للتدبير، وهل يمكنُ أن يحدثَ التفعيل وبعضُنا يُمارسُ التضليل. تلكَ عُيُوبُنا ونقائصُنا، تلك هُمُومُنا و**خَطَرُنا**، وعلينا أن نُصرّح بأنّنا غُلبنا على أنفسِنا في لغتنا، ولا نملكُ آلياتِ التغييرِ في ذاتِنا بلغتنا.

ولكي يحصلَ التغيير؛ علينا أن نسدَّ مكامنَ النّقص، بما يتطلّبهُ البحثُ من فَحْص، وربطِ العربية بالإبداع، وحَمْلِها على خرقِ الإشعاع، والاهتمامِ بتنميةِ المواهب، وسدِّ الثواقب، وإحداثِ ثورةٍ في الترجمة؛ بمشاركةِ مُجرياتِ العولمة، وما يتطلّبهُ سوقُ اللغات، من علاجٍ آلي في اللسانيات وخوضِ ميدانِ الحاسوبيات، وما يتطلّبهُ علمُ المعلوميات. ولكي يتحقّقَ هذا في الواقع، ولا يكون من الراجع، فالعربيةُ بحاجةٍ إلى مؤسّساتٍ نَيِّرات، وإلى مراكزِ أبحاثٍ في اللغويات، وتنالُ البحوثَ في الرياضيات، ويعضدُها القرارُ السياسي، وأراه

يَحُلُّ كلَّ المآسي. هو الحلُّ في أيدينا، هو الطريقُ الذي يُنجينا، هو أمرٌ يُزيلُ **الخَطَر**، فإنْ لم يكنْ، فلا مَفَرَّ من **الخَطَر**.

وخاتمةُ المطافِ وصلتُ إلى فاتحةِ الألطاف : فلقد أخذتُ من أفواهِ العلماء، ومن وصايا الحكماء بأنّهم قالوا: مَنْ يعمل للعربيةِ فهُوَ يصنعُ الأجْر، ومَنْ يُضحّي من أجلِها يُبقي الأثْر، فللرجالِ هِمَم وللصُقورِ قِمَم، ومن يبغي الصَّدَارة، فلا بدّ من الجَسَارة، ومن يريدُ التغيير؛ فَعَلَيْهِ بالمسير، ومن يصدُّ على العربيةِ **الخَطَر**، عليه أنْ يؤكّدَ **الخَطَر**. وإنّي لستُ من الميؤوسين، ولكنّي من الحَزينين ولذا أؤكّدُ **الخَطَر**؛ في لغةِ أهلِ الوَبَرِ والمَدَرِ والحَضَر، ولا يشفعُ فيها إلاّ مشاركةُ الجميع في التصدّي **للخَطَر**، ومع ذلك أرَى **الخَطَر**، فإذاً قولُوا معي: قياساً على مَطَر مَطَر مَطَر، العربيةُ في **خَطَر خَطَر خَطَر**.

والسلام عليكم يا بَشَر.

الإيداع القانوني:

ردمك (ISBN):

■ دفاتر المجلس سلسلة منشورات الجيب، تتضمن خلاصات النشاطات الثقافية التي عرضت ضمن منابر: حوار الأفكار و شخصية و مسار و فرسان البيان من محاضرات و ندوات و موائد مستديرة.

صـــــدر حديـــثا من هذه السلسلة

★ مكانة المرأة في المجتمع التارقي و مقاومته للاحتلال الكولونيالي.

★ أهمية وضع سياسة وطنية للغات.

★ ثقافة الطفل في الأسرة.

★ لغة المسرح في الجزائر : الإبداع،الترجمة،الاقتباس.

★ أهمية الشعر الغنائي في نشر اللغة العربية و في إذكاء الروح الوطنية.

★ الأستاذ عبد الله شريط: خصال،منهاج و أفكار.

★ لغة الإبداع و الإبداع في اللغة: الرواية الجزائرية أنموذجا .

★ محمد العربي دماغ العتروس- خصال ونضال-

★ المسار السياسي و المهني للدكتور محي الدين عميمور

★ لغة التنمية وتنمية اللغة للدكتور عمار بوحوش

★ في الوعي التاريخي: حالة الجزائر للدكتور جمال قنان

★ الأستاذ الأمين بشيشي: المناضل والفنان الموهوب

★ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية.

★ في يوم العربية 01 مارس: تاريخ عريق ولغة جامعة

★ تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية « بلاد الزواوة نموذجا»

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فراكلين روزفيلت / ص.ب: 575 ديدوش مراد الجزائر
الهاتف: 25/ 24 07 23 021 - الفاكس: 07 07 23 021
w w w . c s l a . d z